

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[246] وَاتَّقُوا بِهِ فَالزَّهُّ يَكْفِي مِمَّنْ سَوَاهُ" (1). 9 - وعن جابر بن

يزيد الجعفي أنه قال : خدمت سيّد الأنام أبا جعفر محمّد بن علي (عليه السلام) ثمانية عشرة سنة فلما أردت الخروج ودعته فقلت له : افدني، فقال : بعد ثمانية عشر سنة يا جابر ؟ قلت : "زَعَمَ الزَّكُّمُ بِحَرِّ لَاحِ يَنْزِفُ وَلَا يُبْلَغُ قَعْرُهُ". قال (عليه السلام) : يا جابر بلغ شيعتي عني السلام وأعلمهم أنه لا قرابة بيننا وبينك عز وجل، ولا يتقرب إليه إلا بالطاعة له، يا جابر من أطاعك وأحبنا فهو ولينا، ومن عصاك لم ينفعه حبنا. يا جابر مَنْ هَذَا الَّذِي سَأَلَكَ فَلَمْ يُعْطِهِ ؟ أَوْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكْفِهِ ؟ أَوْ وَثَّقَ بِهِ فَلَمْ يُنْجِهِ ؟" (2). ونجد في هذا الحديث الشريف أن التوكل على الله والثقة بوعده وكرمه، ودعائه والطلب منه بعنوان ثلاث وسائل للنجاة والفلاح. أجل فإن الإنسان إذا توجّه إلى العين الصافية واغتترف منها الماء الزلال فلا حاجة له لأن يمدّ يده إلى هذا وذاك. 10 - ونختم هذا البحث بحديث آخر عن لقمان الحكيم رغم وجود أحاديث كثيرة تقرر أهمية التوكل وآثاره الإيجابية الكبيرة على حياة الإنسان المادية والمعنوية، وذلك عندما أوصى لقمان ابنه بقوله : "يَا بُنَيَّ ! تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ سَلِّ فِي النَّاسِ، مَنْ ذَا الَّذِي تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فَلَمْ يَكْفِهِ ؟" (3). -- إن عظمة هذه الفضيلة الإنسانية الكبيرة، يعني التوكل على الله في الأحاديث الإسلامية والنصوص الدينية الشريفة إلى درجة من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى توضيح أكثر من هذا، وبخلاف ما يقابلها من الحالة الذميمة التي تربط الإنسان بالقوى الأخرى الزائفة وتهبط 1. بحار الأنوار، ج 55، ص 265. 2. بحار الأنوار، ج 78، ص 183. 3. ميزان الحكمة، ج 4، ح 22661.